الفصل الثالث

ملامح الكاريكاتير السياسي في فترة ناصر (١٩٥٤-١٩٧٠)

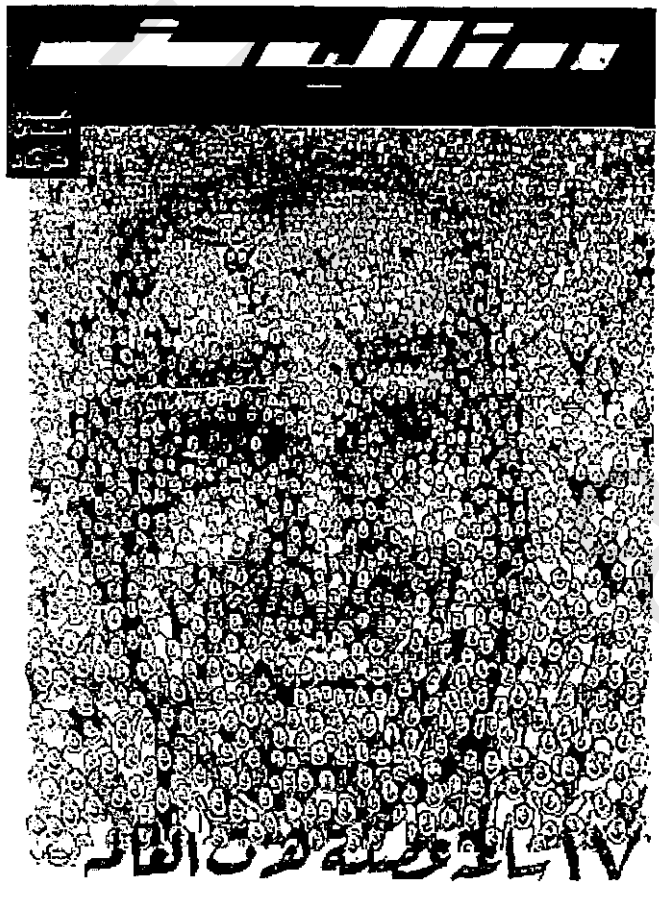

obeikan.com

الفصل الثالث
ملامح الكاريكاتير السياسي في فترة ناصر (١٩٥٤-١٩٧٠)

اتسمت فترة الرئيس جمال عبد الناصر بطابع خاص جدًا، فقد شهدت تفعيل تجربة الجمهورية بايجابياتها وسلبياتها في ظل تعاطف وتأييد شعبي كبير، كما ساهمت في تأجج نار الثورة في عدد من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وساندت بالعداد والجنود الحركات الثورية في الوطن العربي خاصة في الجزائر واليمن. واستطاع ناصر بكاريزمته الخاصة جدًا أن يضاعف من شعبيته وأن تصل خطبه الرنانة أقصى الشرق والغرب، وأن يتحول إلى زعيم شعبي للجمهور العربي الذي تأثر بدعوته للقومية العربية ومناهضته للهيمنة الغربية خاصة بعد تحديه للقوى العظمى بتأميم قناة السويس وانتصاره السياسي في عدوان ١٩٥٦. ولكن لا تأتي الرياح دائمًا بما تشتهي السفن، فقد شهدت آخر فترته النكسة التي عصفت بما تبقى من الحلم العربي في التخلص من إسرائيل واسترجاع فلسطين وفي إمكانية قيام وحده عربية.

وظهر جيل من الرسامين المبدعين في تلك الفترة الذين شكلوا المدوسة الحديثة للكاريكاتير من أمثال إيهاب شاكر ويوسف رمسيس وناجي كامل وحسن حاكم ومحيي الدين اللباد وبهجت عثمان وصلاح الليثي ورجائي ونيس وجورج بهجوري والمبدعان بشكل استثنائي: صلاح جاهين وأحمد حجازي. فقد اتسم أسلوبهم باختزال التفاصيل إلى خطوط بسيطة رشيقة أقرب إلى الإسكتشات في غياب للخطوط الكثيفة والظلال العنيفة والتكتلات السوداء التي اتسمت بها رسوم الحقبة الماضية.

تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي:

كانت الفترة التي تلت ثورة ٢٣ يوليو حافلة بالأحداث والمتغيرات، ولعل عام ١٩٥٦ كان عامًا حاسمًا بالنسبة لحكم عبد ناصر حيث كشف للعالم بوضوح وللمصريين بشكل خاص عن توجهات ناصر السياسية وموقعه من خريطة القوى العظمى وموقفه منها.

شهد بداية العام وتحديدًا في ١٦ يناير نهاية الفترة الانتقالية للثورة والتي كانت قد حددت بثلاث سنوات بدأت في ١٧ يناير عام ١٩٥٣، كما أعلن عن دستور جديد في نفس

اليوم، موضحًا أهداف الثورة متبنيًا مبدأ الجمهورية الرئاسية، ومحددًا يوم ٢٣ يونيو ١٩٥٦ موعدًا لاستفتاء الشعب على كل من الدستور ورئاسة الجمهورية. وبالفعل تم الاستفتاء الذي أسفر عن شبه اجماع من الشعب على الدستور بنسبة ٦ , ٩٧٪، وأسفر عن انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية بنسبة ٩ , ٩٩٪[١].

وبمقتضى الدستور الجديد، يؤول لرئيس الجمهورية السلطة التنفيذية، فله حق تعيين الوزراء ورئاسة مجالسهم، ووضع السياسة العامة للدولة سواء سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا، ويعتبر القائد الأعلى للجيش، في حين تؤول السلطة التشريعية لمجلس الأمة الذي يتشكل عن طريق الانتخاب العام السري المباشر[٢]. إلا أن هذا الدستور لم يدم أكثر من عشرين شهرًا، فقد تم إلغاؤه عقب الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨[٣].

استقبل الشعب إعلان الدستور ونتيجة الانتخابات بحفاوة كبيرة، ونقلت هذه الحفاوة الرسوم الكاريكاتورية، التي كثيرًا ما كانت تصور عبد الناصر وتهيب به كزعيم وخطيب وبطل. وقد لوحظ في الفترة من بعد الثورة ازدياد الاستدلال بالآيات القرانية في التعليق على الكاريكاتير. فعلى سبيل المثال، رسم زكي في "روز اليوسف" عبد الناصر يرتكن على قبة البرلمان ويقدم بيده اليمنى كتاب "الدستور" لفئات الشعب المختلفة، والتي كانت وجهوهم هي وجه "المصري أفندي" أو "المواطن المصري" (كما أصبح يدعى بعد الثورة)، والتي يحمل بعضها الزهور لناصر امتنانًا له بما قدمه لهم. ونرى أن التعليق المصاحب للكاريكاتير قد استدل بالآية القرآنية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ ﴾ (سورة الحاقة: آيات ١٩، ٢٠، ٢١).

في اعتقادي أن استخدام الآيات القرآنية في الرسوم (خاصة تلك التي كانت في غير موضعها) هو وسيلة لاستجداء تعاطف الشعب المصري الذي يعرف عنه تدينه الفطري، حتى وان وجد من هو غير ملتزم دينيًا، فهو بعقيدته الفطرية يحترم الموروثات الدينية ويقدسها! وينتمي هذا النوع من الرسوم إلى حقب من الرسوم الكاريكاتورية ما قبل ثورة يوليو وحتى أوائل السبعينيات كانت تملك قدر كبير من حرية التعبير والتعامل مع الصور الذهنية للموروثات الدينية، حتى وإن شذَّت. فمع احترام الشعب المصري لموروثاته

(١) عبد الرحمن الرافعي، "ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥: تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢-١٩٥٩"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص: ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) طارق البشري، "الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢-١٩٧٠"، مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م.، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص: ١٠٦.

(٣) طارق البشري، المرجع السابق، ص: ١٠٦.

العقائدية، فانه لم تكن هناك حساسية مفرطة في التعامل مع أي معطيات دينية، خاصة تلك التي تقدم في قالب فكاهي أو ساخر. وهذا كان واضحًا وسببًا في اشتهار الشخصية الكاريكاتورية الساخرة التي رسمها عبد السميع "الشيخ متلوف"، التي تم الإشارة إليها في الفصل السادس.

شكل ١١١: اليوم .. يعلن جمال عبد الناصر الدستور!

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾

(روز اليوسف، ١٦ يناير ١٩٥٦)

ورسم جورج بهجوري عبد الناصر وهو يوقظ "المصري أفندي" مبررًا أنه لا وقت للنوم بعد صدور الدستور، في إشارة أنه حان الوقت للعمل. نلاحظ هنا أن بهجوري قد تناول أيضًا شخصية "المصري أفندي" في رسومه وإن احتفظ بأسلوبه في الرسم، فلم يقلده بذات الطريقة التي ظهرت بها الشخصية كما فعل الرسامون الآخرون. كما رسم بهجوري بعد إعلان نتيجة الانتخابات الرئاسية فئات الشعب المختلفة من ضباط لفلاحين لعمال لموظفين كلهم على شكل ناصر.

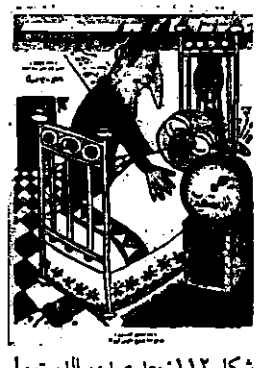

شكل ١١٢: بعد صدور الدستور!

جمال عبد الناصر: "من هنا ورايح مافيش نوم!!"

(روز اليوسف، ٢٣ يناير ١٩٥٦)

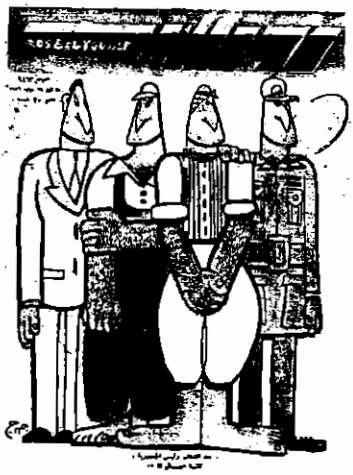

شكل ١١٣: بعد انتخاب رئيس الجمهورية!

"كلنا جمال!!"

(روز اليوسف، ٢٥ يونيو ١٩٥٦)

كانت الاتصالات مع الإنجليز تسير بهدوء من بعد الثورة، وكانت تدور حول مطلب واحد وهو ضرورة الجلاء عن مصر، دون توريط مصر في أي تحالفات عسكرية. ولعبت الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الأثناء دور الوسيط عن طريق وزير خارجيتها جون فوستر دالاس، وعن طريق رجلهم بالسفارة الأمريكية بالقاهرة بيل ليكلاند[١].

ولا يخفى أنه كان هناك بواعث من الخوف والقلق من تدخل الولايات المتحدة كوسيط، فقد كان هناك انعدام ثقة في دور القوى العظمى في المنطقة ومدى حسن نواياها.

وتم توقيع الاتفاق النهائي الذي ينظم عملية الجلاء التام في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، والذي نص على جلاء القوات البريطانية من الأراضي المصرية خلال عشرين شهرًا من تاريخ توقيع الاتفاقية، أي بحلول يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦، الذي اختير رسميًا للاحتفال به تحت اسم "عيد الجلاء". وتكون مصر بهذه الاتفاقية قد حققت أهم مطالبها الوطنية وهو تحررها من قوات الاحتلال الأجنبي. وبالفعل تم جلاء آخر فوج من القوات البريطانية مقدمًا خمسة أيام عن تاريخه الرسمي أي في ١٣ يونيو عام ١٩٥٦[٢].

(١) خالد محيي الدين، "والآن أتكلم"، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص: ١٩٣.

(٢) وفيق عبد العزيز فهمي، "قضية الجلاء وثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢"، سلسلة كتب قومية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، --١٩، ص: ١٤٠.

وأشار المؤرخ عبد الرحمن الرافعي إلى مفارقة تاريخية مهمة، وهو أن الجلاء تم بعد مرور خمسين عامًا من حادثة دنشواي* الدامية التي وقعت في نفس اليوم من عام ١٩٠٦[1]!

استمرت الرسوم الكاريكاتورية تعكس الأمل المصري في التخلص من الاستعمار، وقابلت الرسوم الكاريكاتورية نبأ الجلاء بعين من الرضا والحفاوة بانتهاء الاحتلال الأجنبي بعد كفاح دام ٧٤ عامًا.

شكل ١١٤: السياسة البريطانية والمعارضة!

تشرشل يعارض رحيل القوات البريطانية في القناة ويعتبر أصوات المعارضة تهدف إلى اضعاف الروح المعنوية للجنود البريطانيين.

تشرشل: "ما تسمعش كلام المعارضة دول عاوزين يغرقوك"

(الجمهورية، ٩ يناير ١٩٥٤)

* حادثة دنشواي تعتبر من أسوأ الأحداث التي تركت ألمًا كبيرًا في نفوس المصريين ومازالت عالقة في ذاكرة التاريخ، ترجع الحادثة لواقعة حدثت عام ١٩٠٦ عندما كان بعض الجنود الإنجليز يصطادون الحمام عند قرية "دنشواي"، فتسببوا في حرق وقتل امرأة بالقرية، مما تسبب في إثارة غضب أهالي القرية التي اتجهت ثائرة نحو الجنود، فأطلق الجنود النار عليهم فتسببوا في قتل المزيد، وفر منهما اثنان مات أحدهما في الطريق. وكان رد الفعل البريطاني قاسيًا، فقدم ٥٢ قرويًا للمحاكمة بجريمة القتل العمد، وتم إثبات التهمة على ٣٢ منهم في ٢٧ يونيو من نفس العام، لتتفاوت الأحكام بين جلد وحكم بالأشغال الشاقة واعدام ٤.

(١) عبد الرحمن الرافعي، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥: تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢-١٩٥٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص: ٢٢٦.

شكل ١١٥: إمبراطورية السير إيدن!"

في مجلس العموم البريطاني ارتفعت الأصوات التي تطالب بإجلاء القوات البريطانية المرابطة في منطقة قنال السويس..فيقول إيدن رئيس الوزراء إن هدف بقاء القوات في القنال هو الحفاظ على هيبة الإمبراطورية.

(الجمهورية، ٣٠ يناير ١٩٥٤)

شكل ١١٦: مع السلامة!

"المثالية والواقعية..."

(روز اليوسف، ٢٠ سبتمبر ١٩٥٤)

شكل ١١٧: بعد توقيع اتفاقية الجلاء!

الطيار لزميله: "حاجة من اتنين ياتكون مأذنة الحسين .. أو رقبة جمال عبد الناصر!!"

(روز اليوسف، ٢٥ سبتمبر ١٩٥٤)

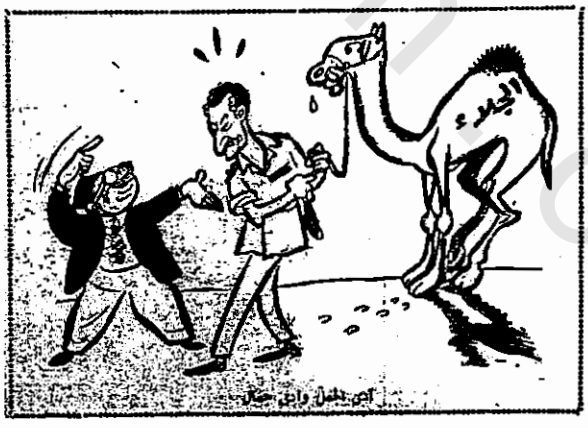

شكل ١١٨: "أدي الجمل وادي جمال.."

(روز اليوسف، ١٨ أكتوبر ١٩٥٤)

شكل ١١٩: أرضنا بعد الجلاء!
(روز اليوسف، ١١ يونيو ١٩٥٦)

كما شهد هذا العام تداعيات تأميم قناة السويس التي لن تكون أبدًا بالحدث العابر لما فيه من العبر والدروس ما يلقي بظلاله حتى هذه اللحظة من المحاولة الدائمة لسيطرة الإمبريالية على موارد الثروة في الدول النامية. لم يكن قرار التأميم وليد الصدفة إنما كان حلم بعيد المنال تناقله المصريون جيل بعد جيل منذ منح الخديوي محمد سعيد باشا "فرديناند ديليسبس" امتياز حفر قناة السويس بموجب فرمان صدر في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤. وبعد افتتاح القناة للملاحة في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩، وقعت تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا لوقوع مصر تحت طائلة ديون لا قبل لها بها.

كان بناء السد العالي في أسوان من أولى القرارات التي اتخذها الضباط الأحرار، في وقت انعدم فيه أي مصدر لتمويل السد. في بادئ الأمر، وافق الاتحاد السوفيتي على تقديم معونة وقرض لتمويل السد، كما وافقتا كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على إعطاء قروض غير مشروطة، بينما وافق البنك المركزي على تمويل مشروط للمشروع. ثم فجأة سحبت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا عرضهما في ١٩ يوليو من عام ١٩٥٦، أعقبهما سحب البنك الدولي أيضًا لعرضه، ليتركوا مصر ليس لها سوى خيار ضئيل لتمويل المشروع[١].

(١) ديريك هوبوود:
Derek Hopwood. (1993). Egypt: politics and society, 1945-1990. (3rd ed). London: Rout ledge.

رأى ناصر بأن سحب الولايات المتحدة وبريطانيا لعرضهما لابد وأن يكون له ردًا مناسب، فلابد أن ترد الصفعة بصفعة أقوى منها ومباغتة. وبالفعل وفي ٢٦ يوليو من نفس العام وفي الاحتفال بالعيد الرابع للثورة، أعلن ناصر في خطاب حي بالإسكندرية قراره بتأميم شركة قناة السويس، منهيًا السيطرة البريطانية الفرنسية على القناة على ما يربو من قرن من الزمان. فقد رأى ناصر أن تأميم قناة السويس سيوفر له مزيدًا من النقد الأجنبي وسيظهر كيف أن بلدًا فقيرًا وضعيفًا مثل مصر تستطيع أن تقف في وجه الهيمنة الغربية[١].

لم يمر إعلان التأميم سهلا على الإمبراطوريتين، فقناة السويس كانت تمثل شريان الحياة الذي ربط بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط والذي به تغيرت شكل الملاحة التجارية على المستوى العالمي، ناهيك أنه من أهم الموارد المالية لكل من بريطانيا وفرنسا، ومن خلال سيطرتهما على القناة أمنا وصول إمداداتهما البترولية من الشرق الأوسط. علاوة على ذلك فإن إعلان ناصر التأميم كان بالنسبة لهما القشة التي قسمت ظهر البعير، فقد ضاقت بريطانيا ذرعًا بدعوة ناصر لما يسمى "القومية العربية" وضاقت فرنسا بدعم ناصر للحركات الجزائرية ضدها مطالبة بالاستقلال، بالإضافة لتخوفهما من تعاونه المستفز مع الاتحاد السوفيتي.

كان منطقيًا ومتوقعًا أن ترتب بريطانيا وفرنسا برد عسكري ولكن لم يكن متوقعًا أن تنضم لهما إسرائيل ذات الثمانية أعوام. فقد رأت إسرائيل أن تستغل الموقف خاصة وأن النصر سيكون لا محالة من نصيب الإمبراطوريتين وبالتالي سيتيح لها فرصة التوسع وضم المزيد من الأراضي وإعادة رسم خريطة جديدة لحدودها وضمان حرية الملاحة لسفنها. كان بديهيًا أن تفكر إسرائيل بهذا وهي التي استطاعت وحدها أن تهزم ستة جيوش عربية، فما بال محاربة مصر فقط وبمساندة إمبراطوريتين.

شهدت هذه الفترة تضامن مختلف فئات الشعب مع الرئيس عبد الناصر في قراره بتأميم القناة وبالتالي وقفت صامدة ضد العدوان. وظهرت الرسوم الكاريكاتورية متحمسة ومؤيدة لقرار ناصر ومحرضة ضد الهيمنة الغربية. ففي الكاريكاتير التالي، في ذكرى تأميم قناة السويس، يؤكد زهدي العدوي أنه بتأميم قناة السويس سيصبح مشروع السد العالي حقيقة. ورسم صلاح جاهين ناصر وهو يتوسط عدد من الدبابات المدرعة وينظر بتحدي وثقة إلى جنديين بريطانيين مذكرًا إياهم بأن احتلالهم مصر في عام ١٨٨٢ يستحيل في عام ١٩٥٦.

(٢) روبرت ستيفنز: Robert Stephens. (1971). Nasser: A political Biography. New York: Simon and Schuster.

شكل ١٢٠: السد العالي وتأميم قناة السويس!

"المونة" التي نبني بها السد العالي!!.."

(روزاليوسف، ٣٠ يوليو ١٩٦٥)

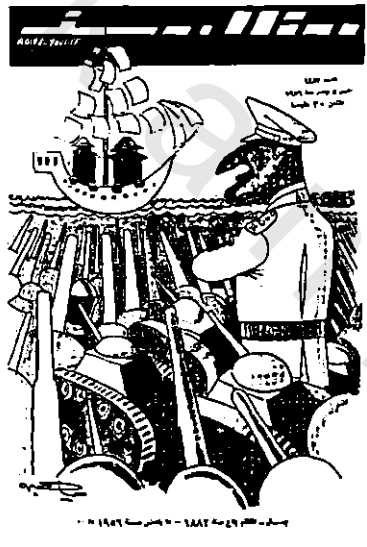

شكل ١٢١: الرد العسكري!

"جمال: الكلام بتاع سنة ١٨٨٢ ...ما ينفعش سنة ١٩٥٦!!.."

(روزاليوسف، ٥ نوفمبر ١٩٥٦)

وقوبل قرار ناصر بترحاب كبير في معظم البلدان العربية. وفي ١٣ أغسطس من عام ١٩٥٦، أعلنت جامعة الدول العربية دعمها التام لمصر وأن أي عدوان على مصر سينظر إليه على أنه عدوان على جميع الدول العربية وهددت باستخدام سلاح البترول. كما دعا "الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب" عمال البترول لوقف الإنتاج وأي إمدادات إذا تم أي هجوم على مصر[١].

ورأت الرسوم الكاريكاتورية في "القومية العربية" سلاحًا فتاكًا يمكن استخدامه ضد أعداء العروبة، والذي ترجم عمليًا باستخدام بعض الدول بترولها كسلاح سياسي تضغط به على الدول المعتدية. الدرس الذي استوعبه المجتمع الدولي جيدًا وهو أن السيطرة على مصادر الطاقة تضمن البقاء للأقوى. وعكس زهدي هذا المفهوم فصور رجلًا عربيًا (القومية العربية) يرتدي غترة وعقالًا (أشبة بزي دول الخليج) مستخدمًا سلاحه (برج بترول) ضد اثنين (يتضح من الرسم أن أحدهما يهودي). لم يغير سلاح البترول كثيرًا من الواقع آنذاك ولكنه بلا شك كان درسًا لا ينسى قد لعب دورًا حيويًا في تشكيل سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا اليوم!

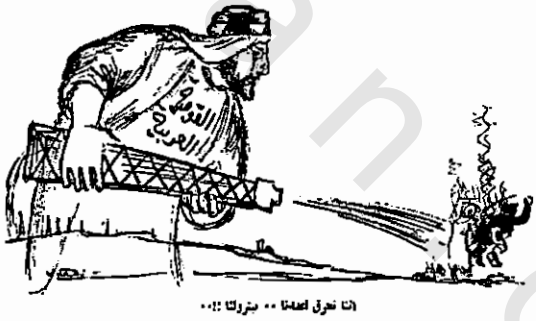

شكل ١٢٢: إننا نحرق أعداءنا..بترولنا!
(روزاليوسف، ١٢ نوفمبر ١٩٥٦)

و كرد على مزاعم رئيس وزراء بريطانيا أنطوني إيدن بأن معركته العسكرية على مصر إنما لضمان حرية الملاحة في القناة لجميع السفن باستمرار، رسم زكي يد تمثل مصر وهي تمتد بعزم وتحدي لتوقف سفينة (النفوذ الأجنبي) من المرور في قناة السويس.

(١) ديريك هوبوود: المرجع السابق.

شكل ١٢٣: هذه السفينة لن تمر!

"قال ايدن أنه يريد أن يضمن أن تكفل حرية الملاحة في القناة لجميع السفن باستمرار"

(روزاليوسف، ٨ أكتوبر ١٩٥٦)

شكل ١٢٤: عودة النازيين!

(الجمهورية، ١٠ نوفمبر ١٩٥٦)

عملت الرسوم الكاريكاتورية في هذه الفترة على شحن الروح المعنوية ضد العدوان وضد أي نفوذ أجنبي. ولم يكن هذا صعبًا في وقت تكالبت فيه كل قوى الشعب لمساندة ناصر وهي على استعداد لتقديم كل رخيص ونفيس لصد العدوان. ومن الطريف أن معظم الرسوم قد تجاهلت مشاركة إسرائيل في الحرب كما أنها لم تعط بالًا بمشاركة فرنسا، فقد كان التركيز الرئيسي على بريطانيا التي لم ينس الشعب بعد مرارة احتلالها. أما أجمل كاريكاتير تعبيري عن هذه الفترة فكان لصاحبه الفنان صلاح جاهين، وفيه يصور الروح المعنوية

المصرية برجل ذي وجه مريح أضافت له الابتسامة مزيد من الثقة والهدوء، عريض الصدر تعلو قمته السماء وهو يطل شامخًا من فوق بيوت المصريين في الوقت الذي تمر من فوقه طائرة إنجليزية وفيها طيار يحدث رفيقه قائلًا: "على قد ما هو كبير مش قادرين نصيبه!!" إشارة إلى الروح المعنوية المرتفعة للمصريين التي يقف أمامها المعتدين صاغرين.

الطيار الانجليزى ـ على قد ماهو كبير مش قادرين نصيبه !!

شكل ١٢٥: الروح المعنوية للمصريين!
(روزاليوسف، ٥ نوفمبر ١٩٥٦)

وبالفعل في ٢٩ أكتوبر بدأ العدوان الثلاثي كما هو مخطط له بهجوم إسرائيلي واسع النطاق على القوات المصرية بهدف الوصول إلى منطقة السويس، أعقبه في ٥ نوفمبر ضرب بريطاني وفرنسي للطيران المصري. وسجل أهالي بورسعيد ومدن القناة بطولات تاريخية في تصديهم للعدوان.

وعندما سقطت كل من بور فؤاد وبورسعيد مع استمرار المقاومة واقتربت الأطراف المعتدية الثلاثة من تحقيق هدفهم وهو السيطرة الكاملة على قناة السويس، حدث ما لم يكن في الحسبان وهو مطالبة الأمم المتحدة جميع الأطراف بوقف إطلاق النار فورًا وسط احتجاج شعبي وعالمي. كما هدد الاتحاد السوفيتي بضرب كل من لندن وباريس بصواريخه إذا لم ينسحبا فورًا، في حين دعت الولايات المتحدة كل الأطراف بالانسحاب حتى لا تتوتر علاقتها بالدول العربية الصديقة التي تمدها بالبترول.

وفي ٢٣ ديسمبر لم يجد الثلاثي المعتدي إلا الانسحاب لتغرب الشمس عن بريطانيا وتمنى فرنسا بالخزي وضيق ذات اليد أمام المقاومة الجزائرية، في الوقت الذي لم تخسر إسرائيل فيه الكثير، فقد كان دخولها الحرب بمثابة عرض لقوتها العسكرية التي شهدت طفرة أرادت ألا يغفل عنها صناع القرار بالمنطقة. وبذلك مثل الانسحاب نصرًا سياسيًا لمصر وبه زاد رصيد ناصر عند عموم الشعب وأصبح رمزا للعروبة وعدم الانحياز، وتحول السد العالي إلى حقيقة ليكون من أهم المشاريع القومية المصرية بالقرن الماضي.

ويعتقد بعض المحللين بأن الدور البارز الذي لعبته الولايات المتحدة في الأمم المتحدة لإنهاء الأعمال الحربية فى ٥٦ لم يكن لتعاطفها مع ناصر أو قوميته العربية وإنما لشعورها بالحرج الشديد من تصرف حلفائها، بريطانيا وفرنسا، دون التشاور معها. ومع أن هذا الموقف قد يحسب لأمريكا على المدى القصير، إلا أن سياستها كانت تعكس كراهية واحتقار لعبد الناصر. فعلى سبيل المثال، رفضت الولايات المتحدة تقديم المساعدة الطبية لضحايا قصف قوات التحالف في بورسعيد، وأوقفت برنامج "كير" في مصر الذي كان يقدم وجبات مجانية لأطفال المدارس، كما التزمت في البداية بالمقاطعة الاقتصادية الغربية ورفض بيع الفائض من القمح والنفط لمصر. وتأزمت بشدة العلاقات الأمريكية المصرية في نهاية عام ١٩٦٤ عندما أعربت الولايات المتحدة عن استيائها من مساعدات ناصر للمتمردين في الكونغو البلجيكي، ليكون رد ناصر مختصرا وهو أن تذهب وتشرب من البحر (١).

شجع موقف الولايات المتحدة المناهض لناصر الاتحاد السوفيتي على توسيع نفوذه في المنطقة من خلال تدفق كميات كبيرة من أسلحته إلى مصر وسوريا والعراق. كما قدم السوفيت مساعدات اقتصادية وفنية على نطاق واسع لمصر توجت بموافقته في أكتوبر ١٩٥٨ على المساعدة في بناء السد العالي. اعتقد ناصر بأن الاتحاد السوفيتي سيكون سندًا قويًا له في الوقوف ضد الولايات المتحدة ومخططاتها، خاصة وأنه كان يخشى أن تسعى الولايات المتحدة للإطاحة به كما فعلت مع مصدق في إيران ونغو دينه ديم في فيتنام الجنوبية، واشتباهه في تورطها في إزالة زعماء مثل أحمد بن بلة وأحمد سوكارنو وكوامي نكروما. في الوقت نفسه، رأت الولايات المتحدة ضرورة الحفاظ على التوازن العسكري في المنطقة من خلال تقديم مساعدات عسكرية لإسرائيل ولبعض الدول العربية الصديقة. بلغ مجموع التسليح السوفيتي لمصر حوالي ٢ مليار

---

(١) إيان بيكرتون وكارلا كلوسنر:

Ian J. Bickerton & Carla L. Klausner. (2010). A History of the Arab-Israeli Conflict. 6ed. Boston: Prentice Hall.

دولار، في حين بلغت المساعدات الأمريكية الاقتصادية والفنية لإسرائيل حوالي ٨٥٠ مليون دولار بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٦٥[١].

والحق أن أهالي بورسعيد حفروا بدمائهم مكانًا بارزًا في ذاكرة الأمة وهم يدافعون عن القناة ضد العدوان ليسجلوا أجمل ملحمة تاريخية خطت خطوطها المقاومة الشعبية التي كانت أسوأ كابوس مر على المعتدين.

وكتب صلاح جاهين في مدح بورسعيد:

يا أم البطل يا أم الشهيد
يا لابسة توب أحمر جديد
كأن يوم الدم عيد
يا بورسعيد
اسمك نشيد

وظهرت في هذه الفترة مجموعة هائلة من الرسوم تحكي المأساة. وكان من أجمل ما رسم سلسلة من الرسوم الكاريكاتورية للفنان جورج بهجوري تحكي قصة التأميم ثم العدوان ثم الكفاح المسلح ضد العدوان ثم أخيرًا النصر، وقد جمع سلسلته في كتاب بعنوان "بورسعيد" ليكون مرجعًا يحكي بسالة أهل بورسعيد ضد المعتدي.

صور بهجوري بورسعيد على هيئة فلاح جميل الطلعة مفتول الساعدين وهو يضم إلى صدره بيوت المصريين. وفي كاريكاتير آخر له بعد النصر، صور بهجوري عبد الناصر في هيئة فلاح حاملًا فوق رأسه مجموعة من قوالب الطوب وماسكًا بيديه "كوريك" ومتوسطًا جمع كبير من مختلف فئات الشعب، في دعوة لإعادة بناء ما خربه العدوان.

شكل ١٢٦: بورسعيد !!
(بهجوري – ١٩٥٧)[١]

(١) إيان بيكرتون وكارلا كلوسنر: المرجع السابق.

شكل ١٢٧: نحن نني بورسعيد!
(بهجوري – ١٩٥٧)[١]

وصور الرسام أحمد طوغان* بسالة المقاومة الشعبية لأهل بورسعيد اللذين يرمون الجنود المعتدية أمامهم بوابل من الرصاص ليسقطوا واحدًا تلو الآخر، بينما صور زهدي الظروف السيئة التي كانت عليها القوات البريطانية في بورسعيد.

شكل ١٢٨: المقارمة الشعبية !
(الجمهورية، ١٦ نوفمبر ١٩٥٦)

(١) جورج بهجوري، المرجع السابق.
* ولد الفنان أحمد ثابت طوغان في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٦ وبدأ انتاجه من الرسوم يظهر في الصحف منذ عام ١٩٤٤..

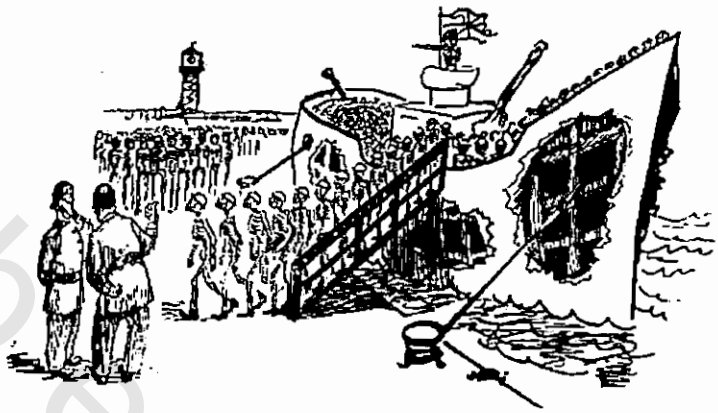

الفرقة البريطانية .. العائدة من بور سعيد ..

شكل ١٢٩: المقاومة الشعبية ٢!

(روزاليوسف، ١٢ نوفمبر ١٩٥٦)

ازدادت شعبية ناصر أضعافًا مضاعفة بعد النجاح السياسي الذي حققه في ١٩٥٦، وأصبح لديه من الرصيد الشعبي ما يسمح أن يصدر قرارات تخص الحريات وأن يجد لها قبولًا لدى عامة الشعب وحتى لدى الكثير من المتضررين من تلك القرارات.

ففي ٥ يونيو ١٩٥٨، تم تشكيل لجنة للصحافة في "الاتحاد القومي" تضم رؤساء تحرير الصحف "من أجل توفير التعاون بين الصحافة والتشكيلات العليا للاتحاد القومي"، كنوع من التمهيد لتملك الاتحاد لهذه الصحف. ثم أصدر قانون تنظيم الصحافة رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠، الذي أعطى رئيس الجمهورية أو وزير الإعلام حق مباشرة المهام التي يتعين على التنظيم السياسي القيام بها، مما ساعد على فرض رقابة صارمة على الصحف. ووفقًا للقانون، فإن "الاتحاد القومي" له الحق في "تشكيل مؤسسات خاصة لإدارة الصحف التي يملكها، وتعيين لكل مؤسسة مجلس إدارة يتولى مسؤولية إدارة صحف المؤسسة"، وبالتالي فإن تعيين أو حل مجالس الإدارة كان من اختصاصات رئيس "الاتحاد القومي" أو فيما بعد "الاتحاد الاشتراكي"، الذي هو رئيس الجمهورية في الوقت نفسه، أي أن قراراته ستكون في صالح السلطة التنفيذية[1].

(١) الدكتور عاطف السيد، "عبد الناصر وأزمة الديمقراطية: سطوة الزعامة وجنون السلطة"، فلمنج للطباعة، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص: ٢٣٩.

وشهدت هذه الفترة إعفاء عدد من كبار الصحفيين من الكتابة ونقل البعض الآخر من عملهم بالصحف للعمل في إدارات تابعة لمؤسسات القطاع العام ليس لها أي علاقة بالعمل الصحفي، وتم التضييق على الصحف بربطها بـ "الاتحاد القومي"، الذي حقق له نوع من السيطرة على نقابة الصحفيين، نتيجة للقرار الجمهوري رقم ٨ لعام ١٩٥٨ الذي أقر بأن "حق الترشيح لعضوية النقابات المهنية [قاصرًا] على أعضاء الاتحاد القومي"[١].

يعتقد عبد الحليم البرجيني بأن ناصرًا كان يمارس سيطرة واضحة على الصحافة وكان يملي عليها ما يتناسب مع مواقفه السياسية. فعلى سبيل المثال، أعطى ناصر الضوء الأخضر للنشر في الأول مع السياسة الأمريكية ثم ضدها. ويتذكر البرجيني كيف أنه قد تم إزالة مادة بحجم صفحة كاملة قبل الطباعة بساعات قليلة بما شكل مأزقًا حقيقيًا لصحيفة "الجمهورية". في اليوم التالي تفاجأ القراء بالجريدة وفي داخلها صفحة كاملة بيضاء ما عدا جملة واحدة في ذيل الصفحة تقول: هذه الصفحة تم غسلها بصابون نابولسي[٢].

يرى الرسام جمعة فرحات بأنه لم يسجل صدام حقيقي بين الرسامين وناصر، وذلك لأن المبادئ والأفكار التي جاءت بها الثورة هي نفسها التي كان يؤمن بها الرسامون، فوجود الرقيب لم يكن يزعج الرسامين بالقدر الكبير. أما الرسام محمد حاكم فيعتقد بأن الوضع اختلف بعد النكسة، فقد أوقف ناصر الرقابة (باستثناء المواضيع المتعلقة بالجيش) ليقلل من درجة الإحباط ولإعطاء فرصة لطرح حلول[٣].

ويرى مصطفى أمين، مؤسس "أخبار اليوم" مع أخيه علي، في حديثه للكاتبة الصحفية ماجدة الجندي، أنه لم يكن هناك مبررًا لفرض الرقابة على الصحف أو التضييق على الصحفيين بعد ثورة يوليو، خاصة وأن جميع الصحف كانت بالفعل مؤيدة للثورة[٤]. وكان عبد الناصر يقرأ كل الجرائد باهتمام، وكان هذا "لسوء الحظ"، لأنه كان يقرأ "بعين تشك"، "تبحث عن المقصود من وراء كل كلمة"، فقد حدث ذات مرة أن كتب رشدي صالح أن مستمعي أم كلثوم جمهور من "الحشاشين"، فاتصل عبد الناصر برئيس تحرير "الجمهورية" وقال: "إزاي الجمهورية تقول عني حشاش؟!"[٥]

(١) الدكتور عاطف السيد، المرجع السابق، ص: ٢٣٩.
(٢) رانيا صالح:
Rania M.R. Saleh (2007, Fall). Political Cartoons in Egypt. International Journal of Comic Art. 9(2), 187-225
(٣) رانيا صالح: المرجع السابق.
(٤) ماجدة الجندي، مصطفى أمين، "صباح الخير، ٢٩ إبريل، ١٩٨٢، ص: ٢١-٢٦.
(٥) ماجدة الجندي، المرجع السابق.

كانت معظم الصحف في تلك الفترة ترجع لمؤسسين غير مصريين، فكانت صحيفة "الأهرام" للأخوين بشارة و سليم تكلا اللبنانيين، ودار "الهلال" لأولاد اللبناني جورجي زيدان، ودار "المعارف" لأولاد نجيب متري اللبناني، ومجلة "روز اليوسف" لفاطمة اليوسف التي هي أيضًا من أصل لبناني، فلم تكن هناك صحيفة مصرية واحدة غير "أخبار اليوم" للتوأمين مصطفى وعلي أمين.

فكانت الخطوة الأكثر جرأة والفارقة في حياة مصر الصحفية هي قرار تأميم الصحافة عام ١٩٦٠، والتي اعتبرها بعض الكتاب بمثابة مذبحة للصحافة، فيما برروها البعض الآخر أنها خطوة تصب في مصلحة البلاد بنقل ملكية الصحف للشعب، فهل أصبحت الصحف فعلًا ملكًا للشعب؟

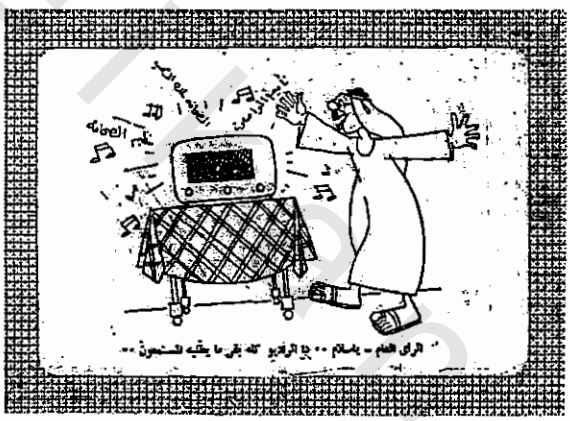

شكل ١٣٠: الصحافة ملك الشعب!

الرأي العام: "يا سلام..دا الراديو كله بقى ما يطلبه المستمعون.."

(روز اليوسف، عدد ١٦٦٨)

نكسة يونيو ١٩٦٧:

فى الوقت الذى شهدت فيه الدول العربية العديد من التغيرات والتوترات والانهيارات بعد تداعيات حرب السويس ١٩٥٦، كانت إسرائيل تشهد نوعًا من الازدهار. فقد تحول ميناء إيلات إلى نافذة إسرائيل على أفريقيا وآسيا وأسواق أخرى جديدة، كما ساهم فى فتح المجال لإقامة اتصالات وعلاقات ودية مع عشرات الدول من العالم النامى، بما فيها إثيوبيا وغانا وبورما ونيبال، ومكن إسرائيل من الحصول على النفط من إيران، التى حافظت على علاقة فعلية مع الدولة اليهودية، وليس من موردين فى أماكن

بعيدة مثل فنزويلا. كما تم تشجيع التنمية الصناعية والتجارية والزراعية فى صحراء النقب مع الانتهاء من نقل المياه إليها فى عام ١٩٦٤[١].

وشهد عام ١٩٥٨ نقطة تحول مهمة فى حياة عبد الناصر وفى حياة العروبة، عندما انضمت سوريا لمصر ليشكلا معًا الجمهورية العربية المتحدة كاندماج كامل بين البلدين تعد مصر الشريك المهيمن، وليكون بمثابة أول تفعيل حقيقي لما هو معروف بالقومية العربية. ولكن لم يدم هذا الزواج طويلًا، فما لبث أن نهش الخلل السياسي سريعًا في جسد الوحدة بانقلاب عسكري سوري في سبتمبر ١٩٦١ لتنفصل سوريا عن مصر وتبدد الحلم المزعوم بكيان عربي موحد وتبدد الهواجس التي أصابت المجتمع الدولي في إمكانية أن تولد قوة ثالثة عربية في المنطقة ومسيطرة على أهم مصادر الطاقة. ووقعت الدولتان الشقيقتان اتفاقية دفاع مشترك في عام ١٩٦٦ كبديل عن الوحدة.

كما شهدت هذه الفترة تمزق وحدة الصف العربي بين أنظمة موالية للغرب وأخرى مناهضة له. ففي عام ١٩٥٨، تم الإطاحة بالنظام الملكي المؤيد للغرب في العراق واندلاع الحرب الأهلية بلبنان ليستنجد الرئيس اللبناني كميل شمعون بمشاة البحرية الأمريكية لمساعدته في الحفاظ على استقرار بلاده. كما طلب الملك حسين من القوات البريطانية المساعدة في استقرار نظامه بعد أن شهدت بلاده توترًا خطيرًا جراء حله للبرلمان عام ١٩٥٧ زاعمًا بوجود مؤامرة شيوعية ضده[٢].

وعلى الرغم من المكانة التي كان يتمتع بها ناصر وسط الجماهير العربية، الا أن الحالة الاقتصادية الداخلية في مصر كانت في تدهور، وبحلول منتصف الستينات، كانت مصر تمر بضائقة مالية خطيرة وأصاب الشارع المصري الإحباط، فقد كانت تكاليف التدخل في أماكن أخرى عالية جدا، حيث تورطت مصر بعد ١٩٦٢ في الحرب الأهلية في اليمن التي استنزفت مواردها البشرية والمالية (لتصل قيمتها إلى حوالي مليون دولار يوميا)[٣].

وشهدت هذه الفترة زيادة حدة التوتر بين إسرائيل وسوريا وحدوث عدد من الاشتباكات الجوية بينهما. في البداية، تجنب ناصر مساعدة سوريا فى تصعيدها ضد إسرائيل،

---

(١) إيان بيكرتون وكارلا كلوسنر:

Ian J. Bickerton & Carla L. Klausner. (2010). A History of the Arab-Israeli Conflict. 6ed. Boston: Prentice Hall.

(٢) إيان بيكرتون وكارلا كلوسنر ، المرجع السابق.

(٣) إيان بيكرتون وكارلا كلوسنر، المرجع السابق.

فقد كان يرى أنه غير مستعد للمشاركة فى أى مواجهة مع إسرائيل. وزادت في تلك الفترة حدة الهجوم على ناصر من قبل بعض الأنظمة العربية مثل الأردن والسعودية تتهمه بالجبن والخوف من إسرائيل وعدم رغبته فى الوفاء بوعوده.

وفى مطلع مايو ١٩٦٧، مرر الاتحاد السوفيتي معلومات إلى مصر تفيد بوجود تجمعات ثقيلة للقوات الإسرائيلية على الحدود مع سوريا وخطة إسرائيلية للهجوم على سوريا. كان السوفيت، وربما ناصر نفسه، يعرف أن هذه المعلومات مزيفة، فهيئة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة والمخابرات الأمريكية والمراقبون المصريون فشلوا جميعًا فى الكشف عن أى تحركات إسرائيلية[١].

ومع ذلك قرر ناصر اتخاذ بعض الإجراءات العسكرية بناءً على تلك المعلومات "المزيفة"، فقد كان يأمل من خلال قيامه بدور فعال ضد إسرائيل أن يخرس منتقديه ويستعيد مجده وقيادته فى العالم العربى. وبالفعل أعلن ناصر فى ١٤ مايو أن القوات المسلحة المصرية فى حالة تأهب قصوى وطلب فى ١٨ مايو من الأمم المتحدة إخلاء أرضها وقطاع غزة من القوات التابعة لقوات الطوارئ الدولية.

وتحمس ناصر لتأديب اسرائيل فقام بمجازفة أكثر خطورة في ٢٢ مايو عندما أمر بإغلاق مضيق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة. وأغلب الظن أن ناصرًا لم يحسب جيدًا تبعات هذا القرار وأنه تخيل أن ما حدث في ٥٦ يمكن أن يتكرر في ٦٧ بمساندة من القوى العظمى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي. وأعلن ناصر استعداده للحرب في خطابه في مايو ١٩٦٧ قائلًا: "بيهددوا بالحرب اليهود..بنقول لهم أهلًا وسهلًا إحنا مستعدين للحرب، قواتنا المسلحة وشعبنا كلنا مستعدين للحرب...وقد تكون الحرب فرصة علشان اليهود، علشان إسرائيل وعلشان رابين يختبروا قواتهم مع قواتنا ويشوفوا إن الكلام اللي كتبوه على معركة ٥٦ واحتلال سيناء كان كله كلام هجص في هجص وكلام تخريف في تخريف[٢]."

وتعالت أصوات التصفيق الحاد والتهليل بين الشعوب العربية بهذا القرار الجريء ولما لا ومحو إسرائيل من الخريطة السياسية حلم تتناقله الشعوب العربية جيل بعد جيل.

---

(١) إيان بيكرتون وكارلا كلوسنر، المرجع السابق.

(٢) ديريك هوبوود:

Derek Hopwood. (1993). Egypt: politics and society, 1945-1990. (3rd ed). London: Rout ledge.

واستقبل المجتمع الغربي الخبر بقلق واضح، ورأت إسرائيل أن قرار عزلها ملاحيًا ماهو إلا إعلان واضح للحرب.

مثل قرار غلق مضيق تيران ضربة كبيرة لإسرائيل حيث خنقها وعزلها ملاحيًا لشل حيويتها وتحديد قدرتها على التوسع والتي عبر عنها الرسام صلاح الليثي بالسفينة الإسرائيلية المحتجزة في زجاجة أشار لفوهتها المغلقة بمضيق تيران (روز اليوسف، ٢٩ مايو ١٩٦٧).

استقبل الشعب المصري الاستعدادات للحرب بحفاوة شديدة، ولما لا وقد ساد الاعتقاد ليس في مصر فقط بل في بقية الشعوب العربية وحتى في إسرائيل، أنه قد استفاد من دروس ٤٨ و٥٦ و بالتالي فان دخول حرب أخرى مع إسرائيل معناه أن العرب هذه المرة أكثر استعدادًا وتحديدًا للأهداف ، فرسم عادل البطراوي قبل النكسة بأيام الجندي المصري يحدث قائده قائلًا: "محتاجين يا فندم (ستوب ووتش) عشان نحسب المعركة حتستغرق أد إيه..!" دلالة على أن التقدير المبدئي للحرب يفيد بأنها "حرب سهلة".

وأصبحت التعبئة النفسية على أشدها وكان جليًا أن هناك حربًا قريبة قادمة. وتحالفت كل أجهزة الاعلام العربية مع كل قوى الشعب في تناغم غير مسبوق يحركها مايسترو واحد تدق طبول الحرب وتنشد مسبقًا لحن النصر. فظهرت الأغاني: يا أهلًا بالمعارك والله معاك وإلى المعركه وحنحارب. يرى الرسام إسماعيل دياب أنه في ذلك الوقت قد حدث تناغم بين الأغاني الوطنية والرسوم الكاريكاتورية، لتحريض الناس لقبول مبدأ الحرب ورفع الروح المعنوية ورفع مستوى استعداد الناس للحرب. فرسم إسماعيل دياب جمهور الشعب رجالًا ونساءً يحملن السلاح ويهتفن في نفس واحد "حنحارب...حنحارب"، بينما العدو يفر مذعورًا مستنجدًا: "ألحقيني يا امة". وقد لخص دياب طوائف الشعب في الفلاح بعصبة رأسه المميزة والفلاحة في ثوبها المزركش والتي أضاف لها لمسة أنثوية بوضع "فيونكة" في شعرها وآخر أحسبه الموظف لم ينسى أن يضيف له حمالة البنطلون. كما صور الرسام أحمد حجازي كيف كان للأغاني تأثير قوي على الروح المعنوي للجندي الإسرائيلي.

شكل ١٣١: حنحارب!

(صباح الخير، ١ يونيو ١٩٦٧)

شكل ١٣٢: الأغاني الوطنية!

(صباح الخير، ١ يونيو ١٩٦٧)

كان للرسوم الكاريكاتورية دورًا كبيرًا في تعبئة وتهيئة الشعب لحرب قادمة سيكون هو فيها المنتصر لا محالة. فصورت الجندي الإسرائيلي بأنه (مفعوص) قزم لا وزن له، في حين صورت الجندي العربي بشخص له هيبة جميل الطلعة عريض المنكبين مفتول العضلات طويل القامة لا مثيل له في قوته. ففي كاريكاتير تصدر غلاف روزاليوسف في ٢٢ مايو الجندى الإسرائيلي يرتعد ويرتجف خوفًا مشيرًا إلى التعبئة المصرية على الحدود قائلًا: "ياامه..دول صدقوا...!!!"

كما كشفت بعض الرسوم الكاريكاتورية عن تحيز بعض الدول الغربية لإسرائيل وعلى رأسهم أمريكا وبريطانيا. فرسم ناجي كامل جندي (الجيوش العربية) مفتول العضلات وطويل القامة لدرجة أن أشكول رئيس وزراء إسرائيل في محاولة يائسة منه للوصول لقمته صعد على كتف جيمس هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا الذي بدوره

صعد على كتف جونسون الرئيس الأمريكي السابق، ويستنجد أشكول قائلًا: "الحقني يـ جونسون..برضة مش طايله." يعتقد ناجي بأن الدعم الذي تحصل عليه إسرائيل من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا لن يساعد إسرئيل في الوقوف ضد العرب.

شكل ١٣٣: الجيوش العربية!

"اشكول: الحقني يا جونسون..برضه مش طايله..!!"

(صباح الخير، ١ يونيو ١٩٦٧)

وصور كل من حجازي وبهجت عثمان كيف أن حتى الأطفال على دراية بما يجري وقد تم شحنهم ضد إسرائيل.

شكل ١٣٤: حتى الأطفال !

"ماما..فين إسرائيل؟؟!"

(صباح الخير، ٨ يونيو ١٩٦٧)

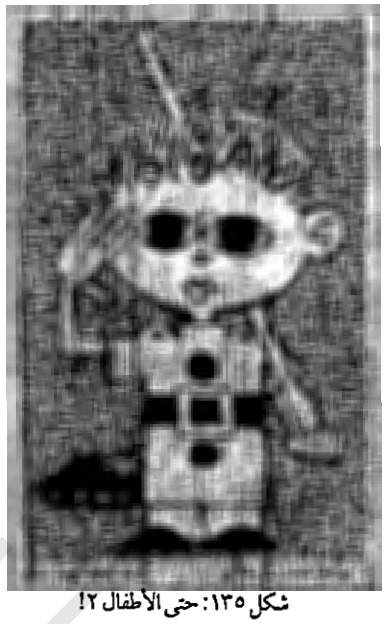

شكل ١٣٥: حتى الأطفال ؟!
(الأهرام، عدد ٢٩٣٩٤، ١٩٦٧)

ولم تطق إسرائيل انتظار ضغط القوى العظمى على مصر لفتح قنواتها الملاحية أمامها، فاختارت أن تدافع عن حرية ملاحتها بنفسها وحددت ساعة الصفر في ٥ يونيو بدك الطائرات المصرية على أرضها ليكون ذلك إيذانا ببدء الحرب. وكان من المفارقات المحزنة أن يصدر عدد "روزاليوسف" في ٥ يونيو ١٩٦٧ في نفس اليوم الذي عصف فيه الطيران الإسرائيلي الطائرات المصرية يحمل بين طياته رسومًا كاريكاتورية تعكس إيمان أصحابها بأن دروس ٤٨ و٥٦ لن تمر هباءً وتزيد من الاستهانة بالعدو الصهيوني وتكشف عن تحيز الدول الغربية لإسرائيل وعلى رأسهم أمريكا. ففي كاريكاتير لأحمد حجازي الرئيس الأمريكي جونسون يحدث هيكل عظمي لشخص يحمل سلاحًا (يمثل عدوان ٥٦) قائلًا: "اصحي ...عايزينك تاني في الشرق الأوسط!!"، في إشارة لإحياء ذكرى عدوان ٥٦ وإن اختلف الموقفان سياسيًا. وظهر كاريكاتير لجورج بهجوري في عدد صباح الخير بعد ثلاثة أيام من الحرب وفيه كلمة "سنتصر" على شكل بندقية.

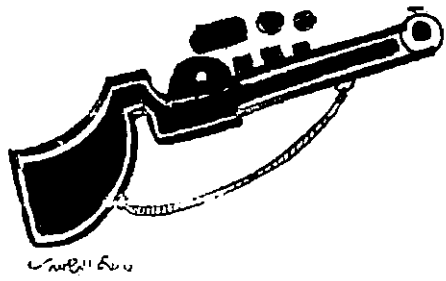

شكل ١٣٦: منتصر!
(صباح الخير، ٨ يونيو ١٩٦٧)

وفي كاريكاتير لحجازي، سفينة حربية تمثل الأسطول السادس الأمريكي وغرفة عملياته تنادي القيادة العامة للبحرية الأمريكية قائلة: "الموقف حرج للغاية، نرجو سرعة إرسال شحنة من اللبان!!..."، طبعًا اللبان مفيد في حالات التوتر الشديدة التي يعاني منها الإسرائيليون والأمريكيون من جراء التعبئة العربية!! كان ظهورًا بريئًا للرسوم الكاريكاتورية تزامن مع هجوم الطيران الإسرائيلي المباغت لينذر بدء الحرب مع أنها حسمت في الساعات الأولى لصالح إسرائيل

شكل ١٣٧: تمثال الحرية مكسوف!
(صباح الخير، ٨ يونيو ١٩٦٧)

واختارت دول البترول أن تقف وتستخدم سلاحها الجديد "البترول" للضغط على إسرائيل وحلفائها فرسم جورج بهجوري ملحمة "يا بتوع النابالم حنحرقكم بالجازابالم" والتي يصور فيها عدة طرق للتصدي للعدوان والحلفاء باستخدام سلاح البترول. ففي إحدى الرسوم، إسرائيلي محشور بين عمودي خط بترول و"الاستعمار الانجلوأمريكي" يحدثه قائلًا: "تحب احرقك ببترول الجمهورية العربية المتحدة...و اللا بترول السعودية...و اللا بترول الكويت...و اللا بترول الجزائر؟!" ورسم إيهاب شاكر الجندي العربي وهو يكسر بفأسه خط البترول الممتد لحلفاء إسرائيل معلقا: "يا عمال البترول العرب..أنتم الجيش الثاني في المعركة". لم يغير سلاح البترول كثيرًا من الواقع آنذاك ولكنه كان بلا شك درسًا لا ينسى لكل من أمريكا وبريطانيا والذي لعب دورًا حيويًا في سياستهما اليوم!!

شكل ١٣٨: يا عمال البترول العرب!
(صباح الخير، ٨ يونيو ١٩٦٧)

تصدرت هذه الحرب عناوين أهم الصحف والمجلات العالمية. وكان العنوان الرئيسي لصحيفة النيويورك تايمز الأمريكية في عددها ٦ يونيو: "معركة القوات العربية والإسرائيلية..كلاهما يدعيان الانتصارات الجوية والأرضية..مجهودات لوقف إطلاق النار من الأمم المتحدة". كما أشارت الصحيفة إلى أن مصر المدعمة من الاتحاد السوفيتي أحبطت نداء الأمم المتحدة لهدنة بين الطرفين. كما أفاد خبر آخر بأن الاتحاد السوفيتي طالب إسرائيل

بوقف عملياتها العسكرية وسحب قواتها من مصر فورًا ومن غير شروط. ولكن ما يلفت النظر هو رأي المحللين الأمريكيين بالبتاجون بأن هذه الحرب ستكون قصيرة والنصر سيكون حليف إسرائيل!!! يعتقد المحللون بأن الجيش المصري لابد وأنه أقوى بكثير مما كان عليه في عام ١٩٥٦ ولكن لا أحد يعلم لأي مدى هو متقدم، مع استحالة أن يكون في تقدم القوات الحربية من الدرجة الأولى لعدم كفاية الوقت، أما إسرائيل فتملك أفضل القوات المدربة والمتقدمة.

دكت إسرائيل الطيران المصري على أرضه في ٥ يونيو في الوقت الذي لا يزال الإعلام المصري ينشد لحن النصر وعلى قناعة بأن خسائره لا تذكر إذا ما قورنت بالخسائر التي تكبدها الجيش الإسرائيلي. ولعب الإعلام المصري دورًا أساسيًا في إقناع الرأي العام بدعم الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل في هجومها على مصر، وتسبب في اندلاع المظاهرات أمام السفارة المصرية في واشنطن ترفض وبشدة اتهامات الإعلام المصري لها بمساعدة الخصم "إسرائيل". ولأن الشعب المصري يعشق "نظرية المؤامرة" فكان من السهل أن يقتنع بتدخل القوات الأمريكية والبريطانية في الحرب، خاصة وأن تدخلها المزعوم عسكريًا في الحرب بلا شك يخفف من وطأة الهزيمة.

وتصدر غلاف "روز اليوسف" عدد ٥ يونيو كاريكاتير لإيهاب شاكر يصف الحالة النفسية الصعبة التي عليها إسرائيل "رعبًا" من أبواق الحرب. فرسم ثورًا (إسرائيل) مسلح ويجري فزعًا وهو يقول: "يا نهار اسود .. وكمان بيسنوا سكاكين في الأردن..!!"، في إشارة إلى مشاركة الأردن لمصر وسوريا في حملتها للحرب. ورسم بهجوري بنفس العدد كاريكاتيرًا بعنوان "رسالة إلى إسرائيل" يتضمن أربع أسئلة موجهة إلى إسرائيل مترجمة في شكل رسوم: "١- تحب تموت بمقص المشير؟ ٢-...واللا بنسر الرائد؟ ٣-... واللا تشوف نجوم النقيب؟! ٤- وبعدين تتربط بشريط الشاويش."

شكل ١٣٩: بيسنوا سكاكين في الأردن!
(روز اليوسف، ٥ يونيو ١٩٦٧)

خيم ضباب من الحزن أجواء المحروسة بعد نكسة ٦٧ وأصبحت مرارة الهزيمة هي لسان الحال التي مني بها الشعب المصري الذي أحس بالخيبة والانكسار. فقد انتهت حرب الأيام الست كما تسميها إسرائيل، فكانت الهزيمة لتضيف للعرب عامة وللمصريين خاصة صفحة في تاريخهم مجاورة للنكبة، وتحتل إسرائيل مزيدًا من الأراضي العربية — سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان — لتشهد العالم بأنها دولة وليست دويلة وأن جيشها هو الذي لا يقهر. ولم تكتف إسرائيل بهذا بل بنت ما يعرف بخط بارليف، ذلك الساتر الترابي الذي راهن عليه العالم بأنه أقوى خط دفاعي في العصر الحديث لتعزل سيناء عن مصر.

وطرق الاكتئاب وأمراضه باب العديد من رموز الأمة وعلى رأسهم رسامي الكاريكاتير لما أسفرت عنه ريشتهم من نقل واستنتاج لصور لا تمت للحقيقة بصلة، فتجرعوا كأس الهزيمة وانهزاز مصداقيتهم مثلهم في ذلك مثل بقية رموز الإعلام المسموعة والمرئية. آمن بعض الرسامين بأنهم شاركوا في تضليل المصريين وأنهم مسؤولون عن الصدمة التي أصابتهم. وكنتيجة لذلك، أصاب بعضهم الإحباط واليأس (مثل صلاح

جاهين)، وأصاب البعض الآخر بعض الأمراض مثل السكري (مثل بهجت عثمان) وآثر آخرون على الهجرة بلا عودة (مثل رجائي ونيس)[1].

صدم الشعب في قائده واهتزت ثقته في إعلامه وأصبح ينعت أي خبر مشكوك في مدى صحته بـ "كلام جرايد". وللأسف لم تستطع العقود التالية في بناء الثقة، فالريبة والشك كثيرًا ما يمثلان رد الفعل الأولي لأي من التصريحات الحكومية.

ومن الملاحظ أنه مع وجود الفاصل الزمني الكبير بين فترتي ١٩٤٨ و١٩٦٧ إلا أن التشابه كان كبيرًا في معالجة الإعلام المصري لقضية الصراع العربي الإسرائيلي مع الأخذ في الاعتبار أنه كان أقوى تأثيرًا مع حلول عام ١٩٦٧ لتنوع أدواته وأقلامه عن فترة ١٩٤٨، وبالتبعية سارت الرسوم الكاريكاتورية على نفس الدرب من التعظيم والتمجيد من الشأن العربي و"الوحدة العربية"، مصحوبة بمزيد من الاستهانة بإسرائيل، التي كان ينظر إليها على أنها ليس أكثر من كيان متطفل يجب محوه من على الخريطة السياسية، دون الأخذ في الاعتبار أن إسرائيل التي كانت وليدة الأمس (١٩٤٨)، لم تعد هي نفسها إسرائيل اليوم (١٩٦٧)، فقد أصبح لها جيش وحلفاء وسفارات ومكاتب تمثيل في عدد من دول العالم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المشكلة الحقيقية وراء أزمة ١٩٦٧ تكمن في أنه تم التعامل معها قياسًا على عام ١٩٥٦ دون الأخذ في الاعتبار الظروف المستجدة، وقد أشار الكاتب الصحفي والمؤرخ السياسي محمد حسنين هيكل، في كتابه "الانفجار"، بأن جمال عبد الناصر وقع في الخطأ ذاته الذي كان دائم التحذير منه مستشهدًا بتحذير ونستون تشرشل، الذي قاد بريطانيا في الحرب العالمية الثانية، من "خوض أي حرب جديدة بنفس أسلوب الحرب السابقة"، فقد أدار عبد الناصر أزمة ١٩٦٧ متأثرًا بالمناخ الذي قاد به أزمة ١٩٥٦ التي سبقتها بأحد عشر عامًا في ظل ظروف جميعها كانت مختلفة[2]!

وترجع هيئة البحوث العسكرية التابعة لوزارة الدفاع سبب أزمة ١٩٦٧ إلى سوء استغلال نائب الرئيس المشير عبد الحكيم عامر لسلطاته ومحاولته للانفراد بالسيطرة على الجيش وقطاعات أخرى عديدة في الدولة، فكان ذلك سببًا لظهور مراكز القوى وتصاعد

---

(١) رانيا صالح:

Rania Slaeh (2004). Egyptian Political Cartoons: Evolution and Impact As Seen By the Cartoonists Themselves, M.A. Thesis, Department of Journalism and Mass Communication, the American University in Cairo (AUC).

(٢) محمد حسنين هيكل، "الانفجار: ١٩٦٧: حرب الثلاثين سنة"، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص: ٧١٥.

استخدام شعار مريب وقتها يدعو إلى تقريب أهل الثقة وليس أهل الخبرة، واعتبار النقد خروج عن الشرعية يدفع صاحبه إلى المحاكمة أو الاعتقال[١].

ووفقًا لهيئة البحوث العسكرية، فإن ثمة أخطاء أدت إلى نكسة يونيو، كان أولهم الاندفاع وراء معلومات واردة دون التأكد من صحتها، والمقصود هنا تلك المعلومات التي مررتها روسيا والتي تفيد بحشود إسرائيلية على الجبهة السورية والتي ثبت زيفها فيما بعد. أما ثانيهم فيرجع إلى الاعتماد على دعم روسي لم يتحقق ولم يحدث أن وعد به، فقد نقل خطأً وزير الحربية وقتها شمس بدران من وزير الدفاع السوفيتي دعم وتأييد الاتحاد السوفيتي الكامل للموقف المصري، مع إنه في المباحثات الرسمية نصح السوفيت بعدم الاستمرار في الأزمة[٢]! وثالثهم كان يرجع للتحيز لأهل الثقة عن أهل الخبرة، فقد تم "استبدال معظم قادة تشكيلات القوات المسلحة قبل الحرب بأيام معدودة بقادة آخرين أقل كفاءة ولا يعلمون عن وحداتهم الجديدة إلا القليل..ولكنهم بتوع المشير عامر – وشمس بدران"[٣]

وأخيرًا، تصرفات المشير غير المسؤولة وانفراده بالسلطة العسكرية كانت وراء الهزيمة المفجعة، فانعدام الديمقراطية جعله ينفرد بفكره وقراره العسكري دون الاستماع لأي آراء أخرى، مما تسبب في القضاء على الخطة الدفاعية السابق تأكيدها في سيناء، وعدم الأخذ بتقدير الرئيس عبد الناصر في احتمال الهجوم الإسرائيلي يوم ٥ يونيو، والتعامل مع حرب ١٩٥٦ كمقياس لحرب ١٩٦٧، والذي تمثل في قرار الانسحاب الذي أصدره "بدون أن يتحقق_كقائد عام_ أن التشكيلات أدت واجبها العسكري أولًا"[٤].

فقد تسبب الانسحاب دون خطة مدروسة إلى نتائج مفجعة، فوفقًا لهيكل، كانت حصيلة مصر من الخسائر في اليوم الأول من القتال حوالي ٥٩٤ شهيدًا، في حين بعد قرار الانسحاب وطريقة تنفيذه من يوم ٦ يونيو وحتى مساء ٨ يونيو، وصل عدد الشهداء إلى ٦٨١١ شهيدًا[٥].

وفي ٩ يونيو أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الشهير تحمله كامل المسؤولية وتنحيه عن الحكم، فاندلعت مظاهرات شعبية من كل قطب مسجلة لحظة تاريخية نادرة للجماهير الغفيرة التي خرجت تناشد ناصر بالعدول عن قراره. وتظاهر الرسامون أيضًا

(١) "حرب الاستنزاف: يونيو ١٩٦٧-أغسطس ١٩٧٠"، صفحات مضيئة من تاريخ مصر العسكري، وزارة الدفاع، هيئة البحوث العسكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص: ١٨.
(٢) "حرب الاستنزاف: يونيو ١٩٦٧-أغسطس ١٩٧٠"، المرجع السابق.
(٣) "حرب الاستنزاف: يونيو ١٩٦٧-أغسطس ١٩٧٠"، المرجع السابق.
(٤) "حرب الاستنزاف: يونيو ١٩٦٧-أغسطس ١٩٧٠"، المرجع السابق، ص: ١٩.
(٥) محمد حسنين هيكل، المرجع السابق، ص: ٧١٢.

بفرشهم مطالبين رئيسهم بالعدول عن قراره. فرسم إيهاب شاكر وجه ناصر يعكسه الجماهير الغفيرة التي خرجت تناشده البقاء. ورسم أحمد حجازي طوائف الشعب ثائرة تناشد عبد الناصر قائلة: "طريق النصر طويل يا عبد الناصر..و نحن معك لآخر الطريق..و لن نخضع لأمريكا التي تقود الثورة المضادة في العالم..". ورسم جورج بهجوري نسر الثورة وهو يبعث ببرقية شكر للرئيس كان نصها: "الرئيس جمال نشكرك للعدول عن قرارك." وهكذا عكست الرسوم إرادة الشعب وهو في أسوأ حالاته في ظل إيمانه بضرورة تدارك الأخطاء والسعي لتصحيح الوضع لتحقيق النصر والأهم هو عدم الخضوع لأمريكا.

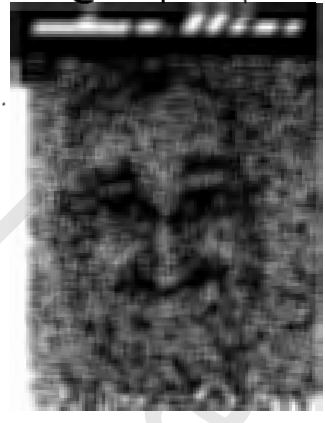

شكل ١٤٠: ١٧ ساعة عصيبة هزت العالم!
(روزاليوسف، ١٢ يونيو ١٩٦٧)

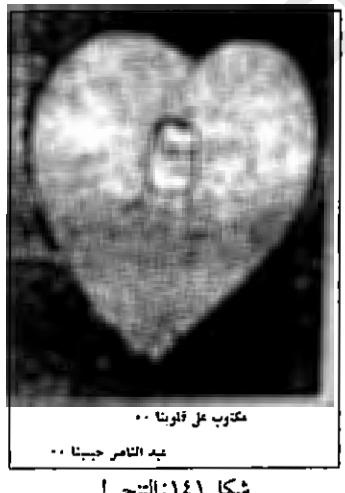

شكل ١٤١: التنحي!
(روزاليوسف، ١٢ يونيو ١٩٦٧)

شكل ١٤٢: رسالة شكر إلى ناصر!

(روزاليوسف، ١٢ يونيو ١٩٦٧)

شكل ١٤٣: طريق النصر طويل!

(روزاليوسف، ١٢ يونيو ١٩٦٧)

ويلفت النظر هنا إلى دور الاتحاد السوفيتي السلبي من أزمة يونيو، الذي فيما يبدو يدر عليه في النهاية أهدافًا إستراتيجية، فوفقًا لتحليل هيئة البحوث العسكرية، فإن الاتحاد السوفيتي قد اتفق مع الولايات المتحدة "على تجميد الأوضاع في المنطقة إلى حالة أطلق عليها.. اللا سلم واللا حرب بحيث يمكن لهم أن يمارسوا مزيدًا من التدخل في الشرق الأوسط، ... كان الاتحاد السوفيتي يجد نجاحًا به في استمرار حالة التوتر بين العرب وإسرائيل حيث يتيح له ذلك تحقيق أهدافه الإستراتيجية بالمنطقة من أجل دعم نفوذه وزيادة حجم تواجده العسكري بها"[(١)].

وقد سجل هيكل بعض ما جاء في المباحثات التمهيدية (القاهرة، ١٠ يوليو) لعقد مؤتمر عربي على مستوى القمة، وفيها وصف ناصر دور الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة بقوله "أنا تعاملت سنين طويلة مع الاتحاد السوفيتي ولم أرهم على هذا النحو من التردد

(١) "حرب الاستنزاف: يونيو ١٩٦٧-أغسطس ١٩٧٠"، المرجع السابق، ص: ٢٧.

والضياع. والحقيقة أنني مندهش، ويمكن من أهم أخطاؤنا_وهذه أتحملها أنا_أننا لم نحسب حسابًا دقيقًا للتغيير الذي حدث في الميزان الدولي. فالروس في حالة انكماش، والأمريكان في حالة انفلات. وقبل أيام تخانقت مع الماريشال زخاروف رئيس أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية، هو الآن عندنا في مصر، وأنا طلبت منه أن يبقى وقلت له: "إني لا أسمح له بالسفر من مصر إلا بعد أن يقدم لي تقريرًا عن الموقف في الجبهة وعما سيفعلونه لتعويض احتياجاتنا". قبل أيام جاءني بصور التقطتها الأقمار الصناعية لمطارات سيناء، وقلت له "الآن تجيء لي بصور لمطارات سيناء بعد أن احتلها اليهود؟" وسألته "لماذا لم تعطونا هذه الصور من قبل عن مطارات إسرائيل قبل بدء المعركة؟"[(١)].

ووضح هيكل التغير الكبير الذي حدث في سياسة السوفيت تجاه الشرق الأوسط من خلال حديث ناصر مع الرئيس الجزائري هواري بومدين حول النشاط الذي يدور في الأمم المتحدة قائلًا: "الأمريكان يطالبوننا بتنازلات. والغريب أن الذي يضغط علينا في قبول هذه التنازلات هو وزير الخارجية السوفيتي جروميكو، وليس وزير الخارجية الأمريكي راسك...موقف الروس بالنسبة لنا موقف أساسي، فإذا لم نحصل منهم على احتياجاتنا من السلاح فمعنى هذا أنه لن تكون هناك معركة...لابد أن تساعدونا جميعًا في الضغط على السوفيت. كل من يستطيع الضغط على السوفيت لابد له أن يضغط: نحن والجزائر والعراق وسوريا، والدول غير المنحازة يوغوسلافيا والهند وغيرهم، وكل دول آسيا وأفريقيا. وأيضًا لابد من ضغط على الأمريكان. ولهذا فأنا أريد مؤتمر قمة عربي لكي يتحرك إخواننا في السعودية وغيرها ويضعوا علاقتهم بالأمريكان موضع اختبار، ليس من أجلي ولكن من أجل الضفة الغربية ووراء الملك حسين. وأنا أعتبر أنه ليس هناك محظور في العمل السياسي إلا الاستسلام"[(٢)].

وجاء قرار ناصر بإعادة بناء القوات المسلحة وبناء طيران مصري جديد بديلًا عن الذي دمرته إسرائيل كبارقة أمل للمصريين بأن الحرب لم تنته بعد. فلملم الشعب المصري أنفاسه وبدأت مسيرة حرب الاستنزاف وبدأ إعداد الدولة للحرب يأخذ بلب كل فرد من شعبها متلهفًا لاستعادة الكرامة والأرض المغتصبة مغًا. وتغيرت بعدها مواضيع الرسوم الكاريكاتورية بشكل جذري إلى الدعوة إلى البناء وعدم التحدث عن ما حدث، والإيمان

(١) محمد حسنين هيكل، المرجع السابق، ص: ٨٩٥.

(٢) محمد حسنين هيكل، المرجع السابق، ص: ٨٩٦.

بأن المعركة ما زالت مستمرة وأنها لن تنتهي عند العدوان وإنما هي وقفة لجمع الصفوف وتحديد الخسائر والتعلم من الأخطاء.

وانتهت حرب الاستنزاف في عام ١٩٧٠ بقبول عبد الناصر مبادرة "روجرز" ووقف إطلاق النار، والتي قوبلت باستياء بالغ بين أعضاء الاتحاد الاشتركي وأثارت ردود فعل غاضبة من الأوساط الفلسطينية والدول العربية. ويعتقد المؤرخ عبد العظيم رمضان بأنه لو كانت حرب الاستنزاف "عتبة للتحرير" ما قبل عبد الناصر مبادرة روجرز التي أنهتها. ويذكر رمضان رد عبد الناصر على اعتراض ياسر عرفات في المقابلة التي جرت بينهما: "إن المضي في حرب الاستنزاف على حين أن إسرائيل تتمتع بتفوق جوي كامل، معناه ببساطة أننا نستنزف أنفسنا![1]"

ومع الإحساس بخيبة الأمل نتيجة لموقف الاتحاد السوفيتي، إلا أن الرسوم الكاريكاتورية كانت تصب جام غضبها على الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل. فلم تشر الرسوم بشكل نقدي لدور الاتحاد السوفيتي إبان الأزمة أو بعدها، حتى مع تبنيه الموقف الأمريكي بأن يبقى الوضع على ما هو عليه! رسم عادل البطراوي رجل (يمثل العالم) رأسه على هيئة كرة أرضية يسأل حواء وآدم عن رجل إسرائيلي (كتب عليه "شعب الله المختار")، لترد حواء قائلة: "لا ما نعرفوش..ما افتكرش اني خلفت حد بالشكل ده!!"

وتشوهت صورة أمريكا لدى المواطن المصري ونفد صبره وهو يطالع سياساتها المنحازة في الشرق الأوسط، فرغم تصنيفها قوة عظمى وبالتالي لها تأثير على صانعي القرار في المنطقة إلا أنها تضغط لترجيح كفة مصالحها الشخصية. وترسخ هذا المبدأ بوضوح منذ أن سارعت بالاعتراف بإسرائيل بعد ساعات قليلة من إعلان قيامها سنة ١٩٤٨. ومع محاولة الشعوب العربية نسيان هذه الطعنة الأمريكية إلا أنها فوجئت بتكرار المساندة الأمريكية لإسرائيل في حرب ١٩٦٧. كما ظهرت هيمنتها الواضحة على قرارات الأمم المتحدة وتعاملت بعد النكسة بسلبية مستفزه تجاه تعنت إسرائيل ورفضها لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة والرجوع لحدود ما قبل ١٩٦٧ مما أعطى إسرائيل نصرًا سياسيًا وإعلاميًا.

ورسم صلاح الليثي عم سام (الولايات المتحدة) في البانيو ومعه سنارة (إسرائيل) ليبدو كالصياد الأحمق الذي لا يجني شيئًا. كما نجح الليثي في تصوير شكل العلاقة بين ثلاثي أضواء المسرح الدولي- الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل والأمم المتحدة- في صورة تغلبت فيها

(٢) د. عبد العظيم رمضان، "حرب الاستنزاف بين الحقيقة والافتراء"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص: ١٢.

الرسوم على الكلمات مما ساهم في تبسيط تلك العلاقة المركبة وتوصيلها إلى رجل الشارع العادي، وفيها رمز لأمريكا بالفيل للدلالة على كونها "أضخم دولة في العالم". فرسم رجل المطافئ (يمثل الأمم المتحدة) يحاول جاهدًا إطفاء حريق ضخم ولكنه يفاجأ بعدم وصول الماء بسبب فيل ضخم (أمريكا) يضغط بقوة بإحدى رجليه على الخرطوم، في إشارة إلى الجهود المشلولة للأمم المتحدة تجاه العدوان الإسرائيلي. كما تصدر غلاف "روزاليوسف" عدد ٣ يوليو ١٩٦٧ أبشع ما رسم عن إسرائيل بريشة إيهاب شاكر، تعبيرًا عن تعنتها ورفضها تنفيذ قرارات الأمم المتحدة والعودة لحدود ما قبل ١٩٦٧. فصور إسرائيل على هيئة كلب مسعور ينقض على عظمة ضخمة (تمثل الأراضي المحتلة) متسببة كسرًا في أسنانه كلها ويقول: "مسعور مسعور..بس أكلها!!".

وفاة عبد الناصر:

لا أحد يستطيع أن ينكر أن وقع إعلان وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كان بمثابة الصدمة القاسية على الأمة العربية بأسرها، فمهما اختلفنا أو اتفقنا معه، سيبقى مشهد وداعه من أروع المشاهد التي خلدت في ذاكرة الأمة. فقد ظل ناصر حتى وفاته يتمتع برصيد وفير من تأييد وحب الناس له.

يرجع رمضان حب الشعب لناصر لأسباب منها أنه كان يمثل فكرة النضال الوطني "المتخلص من أية تبعية للقوى الكبرى"، كما أنه كان يمثل فكرة "النضال الوطني ضد الاستعمار والامبريالية"، وغيرها من حسابات الشعب المصري "الكيميائية أدت به إلى تأييد هذا الزعيم وحبه رغم ما ذاق على يده من وصاية وهزائم عسكرية"[(١)]!

وتقبل العالم الخبر أيضًا بالصدمة، فمهما اختلفت القوى العظمى مع ناصر، فقد كانت تكن له شيئًا من الاحترام. فقد علق الرئيس نيكسون على وفاة عبد الناصر بقوله ان واشنطن كانت تنظر إليه دائمًا "زعيمًا له النفوذ الأقوى في العالم العربي". وعلق رجل المخابرات المركزية "جول جوستن" على خبر الوفاة، قائلًا: "إن ما يدعو للأسف فيما يتعلق بعبد الناصر هو أنه ليست لديه أية رذيلة. إن شراءه لم يكن ممكنًا، وتهديده أيضًا. إننا نكرهه إلى أقصى حد، لكن ما كنا نملك أن نفعل ضده شيئًا..فقد كان نظيفًا جدًا"[(٢)].

---

(١) د. عبد العظيم رمضان، "الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص: ٢٧٠.

(٢) عادل حموده، "عبد الناصر: أسرار المرض والاغتيال"، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص: ١٩١.

استقبل الشعب المصري النبأ بالصدمة، فلم يكن يعلم أن زعيمه الذي تعود أن يسمع خطبه التي تعطي لهم الأمل بأن المعركة مازالت مستمرة، كان يعاني من أمراض السكري وتصلب الشرايين وغيرها، إلى الدرجة التي أصبح لا يفارقه الألم. ولعل ذلك السبب المباشر وراء انتشار الشائعة (وما زالت رائجة حتى يومنا هذا) التي ترجح أن عبد الناصر مات مقتولًا، ولم لا وقد كان هناك قناعة أنه ولابد من وجود منتفعين لموت ناصر !

رسم اللباد المواطنين في الشارع كلهم على شكل عبد الناصر، في إشارة إلى أن ناصر يكمن داخل كل مواطن مصري.

شكل ١٤٤: عبد الناصر!

السائح: "غريبة .. مصر دي تخلق من الشبه أربعين مليون!"

(روز اليوسف، ١٢ أكتوبر ١٩٧٠)

وسرعان ما انتقلت مواضيع الكاريكاتير إلى دعوة المواطنين بوفاء ذكرى عبد الناصر بعودتهم إلى أعمالهم بعد انقطاعهم لحزنهم والتعهد بإكمال ما بدأه ناصر. رسم الليثي أحد المواطنين "سايب شغله" يرفع لافتة سوداء ويعزي مصر قائلًا: "البقية في حياتك"، لترد عليه مصر: "عملك الباقي!" ورسم دياب روح عبد الناصر توصي الشعب على البلاد قائلةً: "خلو بالكم .. انا شايف مصنع هناك اهه ما بيشتغلش!"

* يمكن التعرف على تفاصيل أكثر في هذا الموضوع من خلال كتاب عادل حموده، "عبد الناصر: أسرار المرض والاغتيال"، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

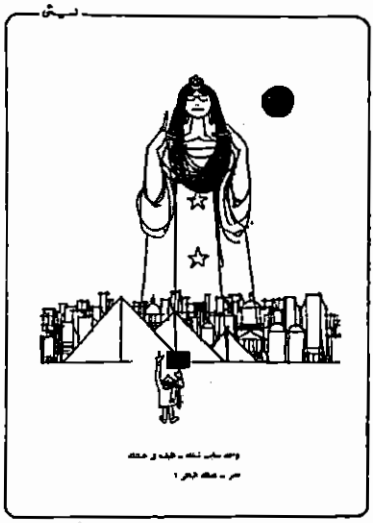

شكل ١٤٥: عملك الباقي!
واحد سايب شغله: "البقية في حياتك"

مصر: "عملك الباقي!"

(روز اليوسف، ١٢ أكتوبر ١٩٧٠)

روح البطل ـ خلوا بالكم .. انا شايف مصنع هناك اهه ما بيشتغلش !

شكل ١٤٦: وفاة عبد الناصر!

روح البطل: "خلو بالكم .. انا شايف مصنع هناك اهه ما بيشتغلش!"

(روز اليوسف، ١٩ أكتوبر ١٩٧٠)